مجلة تسليم
Journal Homepage: https://tasleem.alameedcenter.iq
ISSN: 2413-9173 (Print) ISSN 2521-3954 (Online)

# الأُسْلُوْبِيَّةُ فِيْ أَقْوَالِ الإِمَامِ مُحَمَّدِ البَاقِرِ ﷺ

**غدير أحمد إسماعيل يوسف** [١]

١ جامعة طرطوس / كُلِّيَّة الآداب والعلوم الإنسانيَّة / قسم اللُّغة العربيَّة، سوريا؛
ghader0966@gmail.com
دكتوراه في اللغة العربية / مدرس

| تاريخ التسلّم | تاريخ القبول | تاريخ النشر |
| --- | --- | --- |
| ٢٠٢٤/٤/٤ | ٢٠٢٤/٥/١٤ | ٢٠٢٤/٦/٣٠ |

**المجلـــد (١٨) العـــدد (٣٠)**
**ذو الحجة ١٤٤٥هـ . حزيران ٢٠٢٤م**

DOI:
10.55568/t.v18i30.57-84

CC BY NC

**مُلَخَّصُ البحْث:**

تعدّ الأسلوبية منهجاً علمياً يسائل النص من خلال أساليبه البلاغية، ولكنّه لا يدرسه بوصفه مجرد تلاحق عبارات، بل بوصفه جملة من الأساليب المنظَّمة ذاتياً، وهي من خلال هذا التنظيم تكشف عما هو جوهريٌّ في النص، وتعمل على تجلية جمالياته.

ولهذا جاء البحث ليرصد الظواهر الأسلوبيَّة في أقوال الإمام مُحَمَّد الباقر ﷺ الذي يعدّ منارة للفكر في خطاباته، ومَقصداً في أقواله لمن راح يفتّش في سراديب اللُّغة عن الفصاحة، ولا بدّ لذلك من سبر أغوار أقواله ﷺ عبر مستوياتها الصوتيَّة، والصرفيَّة، والتركيبيَّة، والدلاليَّة، فطفق البحث يستنطق ما اكتنزته تلك الأقوال من دلالات عظيمة بعظَمة من نطق بها بلسان بيت آل النبوَّة الأفصح والأبلغ.

**الكلمات المفتاحيَّة:** الأسلوبيَّة، الإمام الباقر ﷺ، المستويات التركيبيَّة والبلاغيَّة، المقاصد والدلالات

# Stylistics in Sayings of Imam Muhammad Al-Baqir

**Ghadeer Ahmed Ismail Youssef** [1]

1 University of Tartous / College of Arts and Human Sciences / Department of Arabic, Syria;

ghader0966@gmail.com

PhD. in Arabic Language/ Lecturer

| Received: | Accepted: | Published: |
|---|---|---|
| 4/4/2024 | 14/5/2024 | 30/6/2024 |

DOI: 10.55568/t.v18i30.57-84

Volume (**18**) Dhu al-Hijjah 1445 AH.
Issue (**30**) June 2024

**Abstract:**

Stylistics is a scientific method that scrutinises the text through its rhetorical techniques, rather than as a mere sequence of phrases. Instead, it examines it as a collection of self-organising techniques that disclose the essential elements of the text and its aesthetic qualities. In this manner, this study investigates the stylistic phenomena in the sayings of Imam Muhammad al-Baqir, a renowned orator and a distinguished figure in the language of Ahlul Bayt. It is essential to explore the depths of his sayings by analysing their phonetic, morphological, syntactic, and semantic dimensions. This research endeavours to uncover the profound meanings embedded in these sayings, given the eloquence of the speaker and the significance of the Ahlul Bayt language.

**Keywords:** Stylistics, Imam Al-Baqir (Peace Be Upon Him), Structural and Rhetorical Levels, Purposes and Connotations

**المقدِّمة:**

شكَّلت أقوال آل بيت النبوَّة وخطبهم معيناً لا ينضب من الأساليب البلاغيَّة التي كانت وحضورَ النصِّ القرآنيِّ في الذهن سماتٍ ميَّزت فرادة كلٍّ منهم، فكان كتاب "نهج البلاغة" أسوة إبداعٍ فكريٍّ ناضحٍ بالجماليَّات الأسلوبيَّة، وجامعٍ لمكنونات الفصاحة. ولعلَّ أقوال الإمام مُحَمَّد الباقر ﷺ كانت تنمُّ عن لغة طيِّعة، وبلاغةٍ فطريَّةٍ التجلِّي قادت كلامه لأن يكون معْلماً ومقْصداً للدراسات البلاغيَّة بصورتها التقليديَّة، وللدراسات الأسلوبيَّة بصورتها الجديدة.

لا يدّعي البحث استطاعة الإحاطة بالأساليب البلاغيَّة في أقوال الإمام الباقر ﷺ لأنَّ في قلَّة صفحاته ما يشفع له في ذلك، لكنَّها محاولة متواضعة في استنطاق ما خبأته تلك الأساليب من جماليَّات في سياقها المحكم السبك، وسيقتصر البحث على جملة من الأساليب يراها الأكثر حضوراً في أقوال الإمام الباقر ﷺ وخطبه.

**أهمِّيَّة البحث:**

تنطلق أهمِّيَّة البحث من محاولة الاستفادة من اتِّجاهٍ نقديٍّ حديثٍ وتطبيقه على كلامٍ أقلّ ما يمكن أن يقال عنه أنَّه كلامٌ بليغٌ، فجمع البحث بين حداثة المنهج وبلاغة التعبير. ويضاف إلى ذلك الخصوصيَّة التي ينماز بها خطاب الإمام الباقر ﷺ، بما يحمله من فرادة السمات، إذ يجمع بين حسن النظم، ودقَّة التعبير، وجماليَّة الأسلوب.

**أهداف البحث:**

مطلب البحث أن يكشف عن جملة من الظواهر الأسلوبيَّة، وينقّب عن مخبوءاتها في درر الإمام الباقر ﷺ؛ لذلك سعى إلى دراسة أقوال الإمام مُحَمَّد الباقر ﷺ في مستوياتها الصوتيَّة والصرفيَّة والتركيبيَّة والدلاليَّة، وبيان جماليَّات التعبير من خلال الكشف عن جماليَّات الأسلوب.

**منهج البحث:**

سترتكِّز الدراسة على الظاهرة الأسلوبيَّة والبحث في اللُّغة، وإذا ما أُخذ بعين الاعتبار تعدُّد المعطيات في الدرس اللُّغويّ، وأُضيف إليه تعدُّد طرائق الأسلوبيَّة، بين الإحصاء والمقارنة والتصنيف، وجد الباحث الوصف مشفوعاً بالإحصاء نهجاً أيسر لإتمام البحث،

وإعطاء الدراسة حقَّها من التفصيل والتوضيح، فشرع يحصي الأساليب، ويصف الظاهرة، محلِّلاً إيَّاها، ومبيِّناً ما فيها من جماليَّات وبلاغة.

**الدِّراسات السابقة:**

برغم الجدَّة التي تحملها الأسلوبيَّة في الدراسات الحديثة فإنَّ زخم المتنطِّعين لهذه الدراسات كان كبيراً، لكن هذا الزخم يقلّ إذا آل الأمر إلى دراستها في أقوال الإمام الباقر ﷺ. ولعلَّ أقرب دراسة إلى هذه الدراسة البحث الذي نشره الدكتور خالد جعفر مبارك والباحث عبد الكريم جعفر الكشفيّ في مجلَّة القادسيَّة للعلوم الإنسانيَّة، المجلَّد الواحد والعشرون، العدد ١ / ٢٠١٨م، وعنوانه: "المستويات الجماليَّة في خطب وأقوال الإمام مُحَمَّد الباقر ﷺ". وكان مدار البحث حول مستويات التحليل التركيبيّ، والتحليلين الإيحائيّ واللُّغويّ، وأخيراً التحليل الجماليّ. وقد تناول الباحثان بعض الأساليب النحويَّة، وكذلك بعض أساليب الخبر والإنشاء، وانتهيا إلى الجماليَّات التي تؤدِّيها خطب الإمام الباقر ﷺ وأقواله.

أمَّا عن الدراسات الأسلوبيَّة في غير أقوال الإمام الباقر ﷺ فقد كان أشهرها يستنطق الجمال في أساليب القرآن الكريم، وأبرز هذه الدراسات هي:

١. "سورة الفرقان دراسة أسلوبيَّة"، عزيز عدمان، الجامعة الأردنيَّة، عمَّان، ١٩٩٠م. تناولت الدراسة المستويات الأربعة: الصوتيّ والصرفيّ والتركيبيّ والدلاليّ في سورة الفرقان.
٢. "سورة (المؤمنون) دراسة أسلوبيَّة"، معتصم مُحَمَّد صالح الصماديّ، الجامعة الأردنيَّة، عمَّان، ٢٠٠٣م. وبحث في ثلاثة مستويات: الصوتيّ والصرفيّ والتركيبيّ في سورة (المؤمنون).
٣. "دراسة أسلوبيَّة في سورة مريم"، معين رفيق أحمد صالح، جامعة النجاح الوطنيَّة، فلسطين، ٢٠٠٣م. وركَّز على مستويين: الصوتيّ والدلاليّ في سورة مريم.
٤. "سورة آل عمران دراسة أسلوبيَّة"، مُحَمَّد يوسف المطارنة، جامعة الكرك، ٢٠٠٦م. تناول فيها المستوى الصوتيّ، والمستوى الصرفيّ، والمستوى النحويّ، والمستوى الدلاليّ في سورة آل عمران.
٥. رسالة الماجستير "سورة الإسراء ـ دراسة أسلوبيَّة"، إعداد الطالبتين: حنان بوقشيرة، وسهيلة عبينة، جامعة مُحَمَّد الصديق بن يحيى ـ جيجل، الجزائر، ٢٠١٦. اختصَّت الدراسة، من الناحية الأسلوبيَّة، بالمجاز والكناية، والخبر والإنشاء.

وعلى هذا فقد بُنِيَ البحث على أربعة مباحث، بعد مقدِّمة عن الإمام مُحَمَّد الباقر ﷺ، جاء المبحث الأوَّل عن المستوى الصوتيّ الذي تناول فيه سمات الحروف من همس وجهر، وشدّة ورخاوة، وانفتاح وإطباق، وما تقدّمه الأصوات من إيقاعات تبث جماليَّاتها في النصِّ، والمبحث الثاني يدور في فلك المستوى الصرفيّ وما يمكن أن يختزنه من جمال ما تؤدِّيه المشتقَّات والمصادر وأبنية الأفعال في أقوال الإمام الباقر ﷺ. والمبحث الثالث يدرس في تلك الأقوال المستوى التركيبيّ في بناء جملتيه: الفعليَّة والإسميَّة، وفي المبحث الرابع يأتي المستوى الدلاليُّ ليكشفَ الأبعاد الدلاليَّة لبعض الظواهر البلاغيَّة في أقواله ﷺ.

**عن الإمام الباقر ﷺ:**

هو الإمام مُحَمَّد الباقر أبو جعفر مُحَمَّد بن زين العابدين عليّ بن الحسين بن عليٍّ بن أبي طالب عليهم جميعاً أفضل السلام. ولد الإمام الباقر ﷺ في المدينة سنة سبع وخمسين للهجرة، يوم الجمعة، وقيل الثالث من صفر، وقبض ﷺ سنة أربع عشرة ومئة في الحجَّة، وقيل في شهر ربيع الأوَّل، وقد تمَّ عمره الشريف سبعاً وخمسين سنة[١]. "لُقِّب بالباقر لنبوغه في العلم وتوسُّعه فيه"[٢].

الأسلوب والأسلوبيَّة:

كثر البحث في الأسلوب والأسلوبيَّة في الدراسات الحديثة، وإن يكن الأسلوب قديماً في مفهومه فإنَّ المناهج النقديَّة الحديثة أخرجته من تقليديَّته المعروفة إلى رحابة الدرس اللُّغويّ، فالأسلوب لغةً هو الطريق أو المذهب: "كلّ طريق ممتد فهو أسلوب، والأسلوب: الطريق والوجه والمذهب، ويُجمع أساليب، والأسلوب: الفنّ، يُقال: أخذ فلان في أساليبٍ من القول، أي أفانين منه"[٣]. أمَّا اصطلاحاً فيتعدَّد القائلون فيه، فيرى **بيير جيرو** أنَّ الأسلوبيَّة "طريق للتعبير عن الفكر بوساطة اللُّغة"[٤]. ويعرِّفها **شارل بالي** بأنَّها "العلم الذي يدرس وقائع التعبير اللُّغويّ من ناحية محتواها العاطفيّ، أي التعبير واقع الحساسيَّة الشعوريَّة من خلال اللُّغة وواقع

١ صادق، عزالدين عبدالكريم "التوحيد عند الإمام محمد الباقر ﷺ،" مجلة العميد، مجلد١١، العدد. ٤٢ (د.ت.): ٣.
٢ باقر، بدر محمد. الروض الناضر في سيرة الإمام أبي جعفر الباقر ـ تفسيره وفقهه ومروياته (الكويت: سيرة الآل والأصحاب، ٢٠٠٧)، ٢٣.
٣ ابن منظور، لسان العرب، ط١ (بيروت: دار صادر، ١٩٩٧)، مادة(س،ل،ب).
٤ عياشي، منذر. الأسلوبية وتحليل الخطاب، ط١ (حلب: مركز الإنماء الحضاري، ٢٠١٤)، ٣٥.

اللُّغة عبر هذه الحساسيَّة"[٥]. ثمَّ صار هذا التعريف فيما بعد خاصًّا باتِّجاهٍ من اتِّجاهات الأسلوبيَّة التي كان رائدها **شارل بالي** وهي أسلوبيَّة التعبير، أو الأسلوبيَّة التعبيريَّة أو الوصفيَّة، إذ اتَّجهت الأسلوبيَّة اتِّجاهات متعدِّدة عدا عن أسلوبيَّة التعبير، فظهرت أسلوبيَّة التكوين (الأسلوبيَّة النفسيَّة أو أسلوبيَّة الكاتب)، ورائدها **ليو سبيتزر**، نمساويّ النشأة، ألمانيّ التكوين، فرنسيّ الاختصاص. فضلاً عن الأسلوبيَّة البنيويَّة أو الأسلوبيَّة الوظيفيَّة، وترى أنَّ الظاهرة الأسلوبيَّة تتجلَّى في وظيفتها، إذ لا يمكن تعريف الأسلوب خارجاً عن الخطاب اللُّغويّ بوصفه رسالة، وقد أكَّد **رومان جاكبسون** أنَّ النصَّ هو الذي يخلق أسلوبه. وتعدُّ الأسلوبيَّة البنيويَّة امتداداً لمبادئ **فرديناند دو سوسير** في محاضراته (محاضرات في الألسنيَّة العامَّة)، وكذلك تُعدُّ امتداداً لآراء **شارل بالي** في الأسلوبيَّة التعبيريَّة أو الوصفيَّة. ومهما يكن من أمرِ هذه التعريفات والاتِّجاهات فإنَّ الأسلوبيَّة انتقلت إلى العناية بدراسة الخصائص اللُّغويَّة التي تنتقل بدورها بالكلام من مجرَّد وسيلة إبلاغ عادي إلى أداة تأثير فنِّيّ، وتُعَدُّ من النظريَّات الَّتي استفادت من اللِّسانيَّات الحديثة الَّتي تهتمُّ بدراسة النَّصِّ وفق مستوياته الصوتيَّة والصرفيَّة والتركيبيَّة والدلاليَّة، فخرجت بالدراسة من تقليديَّة البلاغة إلى جماليَّات الخطاب.

المبحث الأوَّل: المستوى الصوتيّ

يُعدُّ علم الأصوات فرعاً رئيساً من فروع علم اللِّسانيَّات الحديث، فالأصوات تتآلف لتصنع مستواها الخاصّ ضمن مستويات الظواهر الأسلوبيَّة في البنية النَّصيَّة، وحروف اللُّغة العربيَّة جُسِّدت في أقوال الإمام مُحَمَّد الباقر عليه السلام وخطبه مستوى تتكامل فيه المعرفة والجمال.

يعطي التفاوت بين حروف الهمس والجهر، والتفاوت بين حروف الشدَّة والرخاوة، وكذلك بين الإطباق والانفتاح، تناغماً موسيقيًّا يخفي طاقة تعبيريَّة تتفاوت هي الأخرى بحسب الناطق بها، وضمن البنية الإيقاعيَّة للأصوات تختبئ المكنونات الدلاليَّة العظيمة. وتتكثَّف الدلالات الموجودة في أقوال الإمام الباقر عليه السلام داخل البنى الصوتيَّة، فإذا استقرأنا التفاوت فيها بين الجهر والهمس لمسنا عمق مدلولاتها، ولنقرأ مثلاً في موعظة له يقول فيها:

٥ خفاجي، محمد عبد المنعم وآخرون، الأسلوبية والبيان العربي، ط١ (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٢)، ١٤.

"يا بن الأيَّام الثلاثة: يومك الَّذي ولدتَ فيه، ويومك الَّذي تنزل فيه قبرك، ويومك الَّذي تخرج فيه إلى ربِّك، فيا له من يوم عظيم يا ذوي الهيئة المعجِبة، والهِيَم المُعطَنَة*، ما لي أرى أجسامكم عامرةً، وقلوبكم دامرةً، أما والله لو عاينتم ما أنتم ملاقوه، وما أنتم إليه صائرون لقلتم: "يا ليتنا نُرَدُّ ولا نكذِّب بآيات ربِّنا ونكون من المؤمنين"( الأنعام: ٢٧). قال جلَّ مِن قائلٍ: "بل بدا لهم ما كانوا يخفون، ولو رُدُّوا لعادوا لما نُهوا عنه وإنَّهم لكاذبون (الأنعام: ٢٨)[٦].

في هذه الموعظة أنهى الإمام الباقر ﷺ موعظة راح يعِظ فيها جماعة حضروه ذات يوم، فحذَّرهم وهم ساهون لاهون، وفيها نجد الذبذبة بين العلوّ والانخفاض الَّتي حدثت بين حرفي الهاء والعين في قوله: "ذوي الهيئة المعجِبة، والهِيَم المُعطَنَة"، ويقابلها إيقاع متواتر يبدأ بهدوء، وينتهي بقوَّة النطق به. فحرف الهاء فيه انفتاح ورخاوة، وهو من الحروف الهامسة، بينما نجد حرف العين متوسِّط الشدَّة وفيه انفتاح. وليقولنّ قائلٌ: ليس بينهما بون شاسع، لكنّ الأمر يختلف إذا ما وجدنا حرف العين مقترناً بالجيم والباء في لفظة "المعجِبة"، وكذلك مقترناً بالطاء في لفظة "المُعطَنَة"، والأحرف الثلاثة؛ الجيم والباء والطاء من الحروف القويَّة في اللُّغة العربيَّة، فهي حروف جهريَّة شديدة، ويقترن ذكرها بحروف القلقلة التي تمنح النطق جزالة وقوَّة، فكيف إذا نظرنا في نهايات الفواصل عند الكلام المسجوع الذي ينتهي بكلمتي: قبرك، وربّك؟ إنَّها حروف تتقاسم الغيظ والتحذير، غيظ من لهو الجماعة بالحياة الدنيا عن الآخرة، إذ غرَّتهم هذه الحياة وهم عنها ساهون، وتحذير لهم من أنَّ غفلتهم هذه ستوصلهم إلى عاقبة سيئة المآل.

وإذا دقَّقنا في أقوالٍ أخرى للإمام الباقر ﷺ وجدنا تكرار الحروف يتساوق أيضاً مع الأنساق النصِّيَّة المتأتية لتأدية معانٍ دلاليَّةٍ أُريد لها أن تسحر قلوب السامعين قبل سحر ألبابهم، فنقرأ له ﷺ: "صانعِ المنافق بلسانك، وأخلصْ مودَّتك للمؤمن، وإن جالسك يهوديٌّ

٦ الحراني، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة .تحف العقول عن آل الرسول، ط٢ (ايران: مؤسسة النشر الإسلامي، د.ت.)، ٢٩٢.

فأحسنْ مجالسته". وجاء في قول آخر له: "ما شيبَ* شيء بشيء أحسن من حِلمٍ بعلم"[٧]. ففي القول الأوَّل يتكرَّر حرف السين الذي هو حرف من حروف الهمس، ولكنَّه يتعاظم بالرقَّة والبوح، ويندلح في موسيقا القول مشكِّلاً مع حروف الهمس الأخرى (ص، س، ك، خ، ص، ت، ه، ف، ح) صدىً إيقاعيًّا مبدعاً، ينتهي بالسين فالتاء فالهاء. أمَّا القول الثاني فيتناهى فيه إلى السمع حرف الشين الذي يتدفَّق منساباً في ثلاث كلمات متتالية (شيب، شيء، بشيء)، وهو تكرارٌ يلذّ إلى سمع المتلقّي مُنشِئاً معه صلةً أقرب إلى الرقَّة والسلاسة في التفكير، إنَّ في القول الأوَّل لدعوةٌ بالحكمة والموعظة الحسنة، وفي الثاني رَنَمٌ من لفظٍ مبدع.

وتبرز الهمزة من بين الحروف الجهريَّة الَّتي تمتاز بالشدَّة، لكنَّها تخرج من الحلق نافحة بوجدان أقرب إلى الألم والاختناق، وتتكرَّر في قول الإمام مُحَمَّد الباقر﵇ بكثرة في قوله: "عليكم بالورع والاجتهاد وصدق الحديث، وأداء الأمانة إلى من ائتمنكم عليها، بَرّاً كان أم فاجراً، فلو أنَّ قاتل عليٍّ بن أبي طالب﵇ ائتمنني على أمانة لأدَّيتها له[٨]". تتكرَّر الهمزة في هذا القول عشْر مرَّاتٍ إذا تجاوزنا همزة الوصل، وثماني عشرة مرَّة إذا احتسبنا همزة الوصل. إنَّه تركيز على مستوى عالٍ من الإبداع يجعل المتلقِّي مستمالاً إلى قبول هذه النصائح، مقتنعاً بما جاء في فنون بوحها من أسرار عظيمة معنى ولفظاً.

وعن المدود نلقى السياق يفرض مدوده، فقوله﵇ "صانع المنافق بلسانك" يترك مجالاً للتفكر وتدبُّر المصانعة مع المنافقين، وكذلك في موعظته الأولى الَّتي يعظ فيها جماعة حضروه نلقاه يقسم مع مدِّ القسم "أما والله"، وبقدرة مكنونة بلسان عربيّ أوتي ما لم يؤتَ غيره من الألسن يوائم بين مدوده والمدّ الَّذي جاء في الآية الَّتي أسعفته في الموعظة حين يقول المنافقون: "يا ليتنا". لقد جاء الوعظ مقروناً بميزة خاصَّة، إنَّها الظواهر الأسلوبيَّة الَّتي شُحنت بطاقات تعبيريَّة جماليَّة لتؤدِّي غرضها، فقد "كان أكثر ما انماز به الإمام مُحَمَّد الباقر﵇ في كلامه هو حضور النَّصِّ القرآنيِّ في ذهنه، وقدرته على اجتلاب صوره وتمثُّل معانيه[٩]".

٧ الحراني، ٢٩٢.
٨ الحراني، ٢٩٩.
٩ مبارك، خالد جعفر والكشفي، عبد الكريم جعفر. "المستويات الجمالية في خطب وأقوال الإمام محمد الباقر﵇،" مجلة القادسية للعلوم الإنسانية المجلد ٢١، العدد١. (٢٠١٨): ٣٦٩.
* الشوب: الخلط.

وهـذا مـا كان غريبـاً عـلى الأدب العـربيّ في تلـك الفـترة الَّتـي لم يكـن فيهـا معتـاداً عـلى المعـاني الإسـلاميَّة الجديـدة عليـه.

وحـرف اليـاء يشـكِّل أيضـاً ساكناً ومفتوحـاً مـا قبلـه. أحـد أشـكال المـدود، ويتـمُّ إنتاجـه بوسـاطة "ارتفـاع مقدِّمـة اللِّسـان نحـو وسـط الحنـك الأعـلى ارتفاعـاً يـؤدِّي إلى احتـكاك الهـواء بأعضـاء النطـق أثنـاء مـروره مـع تضييـق الأوتـار الصوتيَّـة تضييقـاً يـؤدِّي إلى اهتزازهـا أثنـاء مـرور الهـواء بهـا[١٠]". وفي قـول الإمـام الباقـر ﷺ: "إنَّ لله عبـاداً ميامِـين مياسِـير، يعِيشـون ويعِيـش النـاس في أكنافهـم وهـم في عبـاده مثـل القَطْـر، ولله عبـاد ملاعِـين مناكِيـد، لا يعِيشـون ولا يعِيـش النـاس في أكنافهـم، وهـم في عبـاده مثـل الجـراد لا يقعـون عـلى شيءٍ إلَّا أتَـوا عليـه[١١]"، نلحـظ المـدَّ اليائيَّ في الكلـمات (ميامـين، ومياسـير، ويعيشـون، ويعيـش، وفي، وملاعـين، ومناكيـد، ويعيشـون، ويعيش، وفي)، إنَّهـا مـدود تؤلِّـف متتاليَّـة هندسـيَّة محكمـة السـبك، يُنشـئها سـياق يجتمـع فيـه مـدّ الألـف مـع مـدّ اليـاء في كلِّ كلمتـين متقابلتـين مـن الكلـمات (ميامـين ومياسـير، وملاعـين ومناكيـد)، وبعدهـا تتـالى الكلـمات نفسـها (يعيشـون) الَّتـي يجتمـع فيهـا مـدُّ اليـاء ومـدُّ الـواو، و(يعيـش)، و(في)، وهنـا يُخـرج المـدُّ هـذه الأصـوات مـن وصفهـا حروفـاً لكلـمات إلى تشـكُّلها لوحـةً جميلـة التكويـن، تؤثِّـر في القـارئ، وتجعـل مـن النـصِّ عامـل جـذبٍ ذو قـدرة صوتيَّـة فريـدة.

المبحث الثاني: المستوى الصرفيّ:

يشـكِّل الفعـل محـوراً رئيسـاً للعلاقـة الإسـناديَّة في الجملـة الفعليَّـة، وتحكمـه الأزمنـة الثلاثـة؛ المـاضي، والحـاضر، والمسـتقبل، فتُشـيع فيـه الاختـلاف والائتـلاف. وتدخـل حـروف الزيـادة عـلى الأفعـال لتمنحهـا معـاني جديـدة ينتجهـا السـياقُ النَّصِّيُّ في علاقـات عناصره المشـكِّلة له. فإذا درسـنا الفعـل المـاضي الثلاثـيّ المجـرَّد في أقـوال الإمـام الباقـر ﷺ وجدنـا في تصاريفهـا دلالات تنمّ عـن قدرة إيحائيَّـة عظيمـة، فنقـرأ قولـه مثـلاً: "بعـث الله مُحَمَّـداً صـلَّى الله عليه وآله بخمسـة أسـيافٍ: ثلاثة منها شـاهرة لا تُغمـد حتَّـى تضـع الحـرب أوزارهـا، ولـن تضـع الحـرب أوزارهـا حتَّـى تطلُـع الشـمس من مَغربهـا، فـإذا طلعـت الشـمس مـن مَغربهـا أمـن النـاس كلُّهـم في ذلـك اليـوم، فيومئـذٍ لا ينفـع نفسـاً

١٠ كمال الدين، حازم. دراسة في علم الأصوات، ط١ (القاهرة: مكتبة الآداب، ١٩٩٩)، ٣١_ ٣٢.
١١ الحراني، تحف العقول عن آل الرسول، ٣٠٠.

إيمانُها لم تكن آمنت من قبلُ أو كسبت في إيمانها خيراً"[١٢]. فالفعل (طلع) من باب: فَعَلَ ـ يَفْعُلُ، ومضارعه: يطلُع، وقد استُعمل الفعل للدلالة على الظهور والبزوغ، ناهيك عن الحركة الَّتي يشيعها الفعل في تجلِّي النورانيَّة، ويشير إلى التحوُّل المكانيّ أيضاً؛ إذ ينبني على صعود الشيء من مكان إلى مكان آخر يظهر فيه. أمَّا الفعل (أمِن) فإنَّه يحمل دلالة نفسيَّة يصدِّرها الانفعال الكامن في نفس تحمل الطمأنينة، وتشي بالأمان، وتنأى بصاحبها عن الخوف والقلق، ويتزامن ورود الفعل مع طلوع الشمس وتجلِّي النور، وكلّ هذا الإحساس الَّذي يبثُّه الفعل يقترن مع ظهور مشابه لجذر الفعل في الآية القرآنيَّة "آمنت"، إلَّا أنَّه هنا مسبوق بنفي يقطع الإقرار والثبوت، وكأنَّ الإمام الباقر﵇ أراد أن يظهر حسْن الضدّ بإظهار ضدّه، فأَشهَد على كلامه آية قرآنيَّة حملت النقيض لتشهد، من ثَمّ، على بلاغة القائل.

وتأتي حروف الزيادة في الأفعال لتضيف جديداً عليها، ومن الأمثلة على تلك الأفعال:

"وإن كُذِّبْتَ فلا تغضب"[١٣]: الفعل (كَذَب) بالتخفيف لازم ولا يحتاج إلى مفعول به، لكنَّ وروده على صيغة (فعّل)، وزيادة التضعيف جعله مُتعدِّيًا، ولَمَّا بُني هذا الفعل للمجهول ناب المفعول به عن الفاعل، لتأتيَ تاء الرفع المتحرِّكة نائباً عن الفاعل المجهول.

"ثلاثة منها شاهرةٌ لا تُغمَد"[١٤]: الفعل (تُغمَد) ماضيه المبنيّ للمعلوم (أَغمَدَ)، والزيادة هنا تفيد الصيرورة بحيث يصبح السيف مُغمداً؛ أي في غمده.

"**أغناهم القليل من الدنيا فمؤونتهم يسيرة**"[١٥]: الفعل (أغناهم) من (أغنى) وكان لازماً قبل دخول الهمزة عليه، والهمزة أفادت التعدية ليصبح الفعل متعدِّياً، ومفعوله هاء الغائب. والتعدية "أن تجعل الفعل لفاعل مصيراً لمن كان فاعلاً له قبل تعديته منسوباً إليه ذلك الفعل، فلذلك يصير غير المتعدِّي متعدِّياً، والمتعدِّي إلى واحد يتعدَّى إلى اثنين، والمتعدِّي إلى اثنين يتعدَّى إلى ثلاثة، كقولك: أخرجته وأشممته الطيب، وأعلمتُ زيداً عمراً منطلقاً"[١٦].

١٢ الحراني، ٢٨٨.
١٣ الحراني، ٢٨٤.
١٤ الحراني، ٢٨٨.
١٥ الحراني، ٢٨٧.
١٦ ابن الحاجب، الإيضاح في شرح المفصل، تحقيق. إبراهيم عبدالله، ج٢ (دمشق: دار سعد الدين، د.ت.)، ١١٦.

"**بادر بانتهاز البغية عند إمكان الفرصة**"[١٧]: (بادرْ) فعل أمر من الماضي (بادرَ) وهو ثلاثيّ مزيد بحرف الألف، وتفيد زيادتها في مبالغة طلب المبادرة حتَّى تحصل البغية.

"**كلَّما عَرَضَت لك شهوةٌ أو ارتكاب ذنْبٍ سارعْتَ إليه، وأقدمْتَ بجهلك عليه**"[١٨]: الفعل (سارعْتَ) ثلاثيّ مزيد بحرف الألف، والفعل (أقدمْتَ) أيضاً ثلاثيّ مزيد بحرف، وكلا الحرفين في الفعلين أفاد المبالغة، وكأنَّ المخاطب يبالغ في سرعة ارتكاب الذنب، والإقدام عليه.

"**وإنْ جالسك يهوديّ فأحسنْ مجالسته**"[١٩]: الفعل (جالس) ثلاثيّ مزيد بالألف الَّتي أفادت زيادتها المشاركة في المجالسة، بينما الفعل (أحسن) ثلاثيّ مزيد الهمزة، وأفادت المبالغة؛ إذ حرَّض الإمام الباقر ﷺ المخاطَب على مجالسة اليهوديّ إن بادر بالمجالسة.

"**ما مِن عبدٍ يمتنع من معونة أخيه المسلم والسعي له في حاجته، قُضيت أم لم تُقضَ، إلَّا أُبتلي بالسعي في حاجة مَن يأثم عليه**"[٢٠]: الفعل (يمتنع) ماضيه (امتنع) وهو ثلاثيّ مزيد بحرفين، ووزنه (افتعل)، وحرفا الزيادة فيه يفيدان المطاوعة، وفيها يطاوع المفعول به فاعله في القيام بالفعل، فنقول: منع الفاعل المفعول به من معونة أخيه فامتنع المفعول عن الفعل بعد أن أصبح فاعلاً. يمكن للنفس الأمارة بالسوء أن تدفع العبد إلى الامتناع من معونة أخيه المسلم، فانقاد العبد وراء نفس شهوانيَّة تغري صاحبها حتَّى بما ينزله من الجنَّة. وكذلك الفعل (أُبتلي) يطاوع فيه المفعول فاعله إذ يضعه في إطار الابتلاء بما قدَّمت يداه، فتكون عاقبة ما أسلف.

"**ما تُذُرِّع إليّ بذريعةٍ، ولا تُوُسِّل بوسيلةٍ هي أقرب له إلى ما يُحبُّ من يدٍ سالفةٍ منِّي إليه**"[٢١]: الفعل (تُذُرِّع) ماضٍ مبنيٌّ للمجهول، وهو فعل ثلاثيّ مزيد بالتاء والتضعيف، ويفيد حرفا الزيادة فيه معنى الاتِّخاذ، تَذَرَّع بالشيء: اتَّخذه ذريعةً. وكذلك الفعل (تُوُسِّل) يطابقه في الحالة الصرفيَّة، وفي معنى حرفي الزيادة، توسّل بالشيء: اتَّخذه وسيلةً.

١٧ الحراني، تحف العقول عن آل الرسول، ٢٨٦.
١٨ الحراني، ٢٩١.
١٩ الحراني، ٢٩٢.
٢٠ الحراني، ٢٩٣.
٢١ الحراني، ٢٩٦.

**"إنَّ الله يتعهَّد عبده المؤمن بالبلاء كما يتعهَّد الغائبُ أهلَه بالهديَّة"**[٢٢]: الفعل (يتعهّد) مضارعٌ، وماضيه (تعهّد) وهو فعل ثلاثيّ مزيد بحرفي التضعيف والتاء، وقد يفيد معنى الأخذ هنا؛ فتعهّد فلاناً بالبلاء: أخذ على نفسه العهد به.

**"يا جابر، استكثر لنفسك من الله قليل الرزق تخلّصاً إلى الشكر، واستقلل من نفسك كثير الطاعة لله إزراءً على النفس، وتعرُّضاً للعفو"**[٢٣]: الفعل (استكثر) ماضٍ ثلاثيّ مزيد بالهمزة والسين والتاء، وهذه الأحرف تفيد الاتِّخاذ، فكأنَّ الإمام الباقر ﷺ يدعو جابراً إلى اتِّخاذ قليل الرزق كثيراً تخلُّصاً إلى الشكر، كما فعل في (استقلل) الَّذي يدعو فيه جابراً إلى اتِّخاذ الكثير من الطاعة قلّةً إزراءً على النفس.

**"واستشر في أمرك الَّذين يخشون الله"**[٢٤]: الفعل (استشر) فعل أمر، ماضيه (استشار)، وحروف زيادته الهمزة والسين والتاء تفيد الطلب؛ فاستشر الَّذين يخشون الله أي اطلب مشورتهم.

**"ومَن علم أنَّه ما صنع كان إلى نفسه لم يستبطئ الناس في شكرهم، ولم يستزدهم في مودَّتهم"**[٢٥]: الفعل (يستبطئ) مضارع، وماضيه (استبطأ)، وهو ثلاثيّ مزيد بالهمزة والسين والتاء، وتفيد حروف الزيادة هنا الاعتقاد؛ إذ يعتقد ذلك الإنسان أنَّ الناس بطيئون في شكرهم، لكن حروف الزيادة ذاتها في الفعل (يستزدهم) تفيد الطلب؛ إذ لم يطلب إلى الناس الزيادة في المودَّة.

وعن الدلالة الزمنيَّة للأفعال فمن الواضح أنَّ فعل الأمر استبدَّ بأكثر أقوال الإمام الباقر ﷺ، ويُستعمل فعل الأمر في النمط الإيعازيِّ للكتابة، ويدلُّ على الإقناع والالتماس، ولكنَّه يُستثمر في الخطب بكثرة ليُسهم في الوعظ والإرشاد. وقد كثُرت أفعال الأمر في أقوال الإمام الباقر ﷺ، فنسجِّل في وصيَّته الَّتي أنشأ يعظ فيها جابراً بن يزيد الجعفيّ تسعةً وثلاثين فعل أمرٍ، وهذه الأفعال بالنسبة إلى عدد الكلمات الواردة في هذه الموعظة كثيرة تؤدِّي غرض الوعظ، وتلقي بظلال دلالات تملأ فضول المتلقِّي، وتسعد سمعه.

---

٢٢ الحراني، ٣٠٠.
٢٣ الحراني، ٢٨٥.
٢٤ الحراني، ٢٩٣.
٢٥ الحراني، ٢٩٩.

إنَّ ما جُعل من مخبوءٍ داخل ما أُنتظم من صيغ فعليَّة متعدِّدة لَيدلّ على سعة معرفة الناظم، وقدرته الكبيرة على الإمساك بالكلمات بشكلٍ محكَم، ولا سيَّما إذا تابعنا المشتقَّات والمصادر في دلالاتها الَّتي تتمظهر في أقوال الإمام الباقر ﷺ وخطبه. ومن أمثلة ذلك:

"**فإن كنتَ سالكاً سبيله، زاهداً في تزهيده، راغباً في ترغيبه، خائفاً من تخويفه، فاثبُتْ وأبشِر، فإنَّه لا يضرُّك ما قيل فيك**"[٢٦]: نلحظ أسماء الفاعلين المتكرِّرة ـ سالكاً، وزاهداً، وراغباً، وخائفاً ـ الَّتي تمنح الكلام توازناً متدرِّجاً يثبت فيه فاعل هذه الأحداث حتَّى لا يضرُّه ما قيل فيه.

"**إنَّ المُؤمِن مَعنيٌّ بمجاهدة نفسه حتَّى يغلبها**"[٢٧]: (المُؤمِن) اسم فاعل من الفعل الرباعيّ (آمن)، وهو يدلُّ على ملازمة الإيمان لفاعله ونسبتها إليه.

"**والله المُتكبِّر ينازع الله رداءه**"[٢٨]: إنَّ اسم الفاعل (المُتكبِّر) يشير إلى المبالغة في حدوث الكبر في فاعله حتّى لينازع الله ﷻ رداءه.

"**إنَّ المُحبَّ لَمن أحبَّ مُطيع**"[٢٩]: هذا الشطر الثاني من البيت الَّذي صدره: "لو كان حبُّك صادقاً لأطعته". جمع الإمام الباقر ﷺ في عجز البيت بين اسمي فاعلٍ: (المُحِبّ)، وهو اسم فاعل من الفعل (أحبَّ)، بإبدال حرف المضارعة ميماً مضمومة وكسر ما قبل الآخِر، وإنَّما يدلّ على المبالغة في الحبِّ الملازمة للفاعل المُحِبّ، وجاء اسم الفاعل (مُطِيع) من الفعل المعتل الأجوف الثلاثيّ المزيد بالهمزة (أطاع)، ليدلَّ به على الإكثار من الطاعة، فالَّذي يكون مُكثِراً في حبِّه وجب عليه أن يكون مُكثِراً في إطاعة من يحبّ.

"**إنَّ الله يبغض الفاحش المُتفحِّش**"[٣٠]: جمع الإمام الباقر ﷺ في هذا القول أيضاً بي اسمَي فاعلٍ: (فاحش) و(مُتفحِّش)؛ والأوَّل من الثلاثيّ المجرَّد (فحش)، يدلُّ على ملازمة صفة الفحش للفاعل، والثاني من الثلاثيّ المزيد بحرفي التاء والتضعيف (تفحّش)، يدلُّ على شدَّة الفحش التي التصقت بالفاعل، فهذا التفحّش على الفحش جعل من الفاعل مُبغَضاً من الله تعالى.

٢٦ الحراني، ٢٨٤.
٢٧ الحراني، ٢٨٤.
٢٨ الحراني، ٢٩٢.
٢٩ الحراني، ٢٩٤.
٣٠ الحراني، ٢٩٦.

واسم المفعول أيضاً يدلّ على الحدث، فهو "كاسم الفاعل يدلّ على الحدث وصاحبه، كما أنَّ عمله كعمل اسم الفاعل الَّذي يرفع وينصب معموله، لأنَّ كلاهما مشتقَّان من الفعل، ويجريان مجرى الفعل في حركاته وعدد حروفه وترتيبها، كما أنَّهما تتوافَّر فيهما نفس الشروط لكي يكونا عاملين، وهذه الشروط مرتبطة بوجود ألف التعريف أو غيابها[٣١]". ولكن في هذه المرَّة يشير إلى مَن وقع عليه هذا الحدث، ويتكرَّر اسم المفعول في أقوال الإمام الباقر﵇ غير مرَّةٍ، ومنها:

**"لأنَّ المؤمن من الله عزَّ وجلَّ لا موصول ولا مفصول. قيل له ﵇: ما معنى لا موصول ولا مفصول؟ قال: لا موصولٌ به أنَّه هو، ولا مفصولٌ منه أنَّه من غيره"**[٣٢]: فنلحظ اسمَي المفعول (موصول) و(مفصول) كلاهما من الثلاثيّ المجرّد المبنيّ للمجهول، الأوَّل من المعتلّ المثال (وُصِل)، والثاني من الصحيح السالم (فُصِل)، الأوَّل يحمل معنى عدم ملازمة الوصول لمن وقع عليه الفعل حين يقترن هذا الاسم بلا النافية، والثاني يدلّ على عدم ملازمة الفصل لمن وقع عليه الفعل حين يقترن هو الآخر بلا النافية.

ويُشتق اسم التفضيل من الفعل ليستعظم صفةً في أمر ما مقارنةً مع أمرٍ آخر، والفائدة الأكبر التي يأتي بها هي الزيادة والتفوُّق في الوصف المشترك، ومن أمثلته في أقوال الباقر﵇:

**"من كان ظاهره أرجح من باطنه خفّ ميزانه"**[٣٣]: يشترك الظاهر والباطن في الوصف، لكنّ الكفَّة في التفضيل مالت عند بعضهم لصالح الظاهر أكثر من الباطن، ونتيجة لهذا التفوُّق خفّ وزن صاحبهما، أي الظاهر والباطن.

"ما تُذرِّع إليّ بذريعة، ولا تُوسِّل بوسيلة هي أقرب له إلى ما يحبُّ من يدٍ سالفةٍ منِّي إليه أتبعتْها أختها لتحسن حفظها وريها"[٣٤]: اسم التفضيل (أقرب) يقرب إلى معنى الأفضليَّة في المرتبة، فالوسيلة الَّتي يُتوسَّل بها مفضلَّة على غيرها عنده، وهي أقرب إليه.

وتدلُّ مبالغة اسم الفاعل من اسمها على مبالغة الفاعل في القيام بالحدث، حتَّى لتصير بعض المبالغات مِهَنًا، كحدّاد وبنّاء ونجّار وخبّاز... إلخ، وهذه المبالغات "ألفاظ تدلُّ على

٣١ جرومي، وسام . "اسم الفاعل في سورة البقرة 'دراسة نحوية صرفية دلالية ". مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة الماجستير،اشراف. رابح العربي (أكلي محند أولحاج، ٢٠١٩)، ٢١.

٣٢ الحراني، تحف العقول عن آل الرسول، ٢٩٥.

٣٣ الحراني، ٢٩٤.

٣٤ الحراني، ٢٩٦.

ما يدلّ عليه اسم الفاعل بزيادة، وتُسمّى صيغ المبالغة، كعلّامة وأكول، أي عالم كثير العلم، وآكل كثير الأكل، ولها أحد عشر وزناً" [٣٥]. ومنها قول الإمام الباقر ﷺ:

"**من صنع مثل ما صُنع إليه فقد كافأ، ومن أضعف كان شَكوراً، ومن شكر كان كريماً**"[٣٦]: فكلمة (شَكور) مبالغة اسم فاعل، فقد عبّرت عن الإكثار والمبالغة في الشكر.

لقد صنعت المشتقّات عالماً مضافاً إلى عوالم الفضاء النَّصِّيِّ في أقوال الإمام الباقر ﷺ، وكذلك فعلت المصادر التي أغنت منابع الجمال الأسلوبيَّة في تلك الأقوال، والمصادر منها سماعيٌّ ويكون فعلها ثلاثيًّا، ولا تُعرف إلَّا بالرجوع إلى المعجم، أمَّا مصادر الأفعال الرباعيَّة والخماسيَّة والسداسيَّة فهي قياسيَّة، ولها أوزان تُقاس عليها. وكثرت المصادر في أقوال الإمام الباقر ﷺ، السماعيَّة منها والقياسيَّة، ومن أمثلة المصادر السماعيَّة:

"**ويقيل الله عثرته فيتذكَّر، ويفزع إلى التوبة والمخافة فيزدادَ بصيرة ومعرفة لما زيد فيه من الخوف**"[٣٧]: فالمصادر الواردة في هذه الموعظة: عثرته من عثر، والتوبة من تاب، والمخافة من خاف، وبصيرة من بصر، ومعرفة من عرف، والخوف من خاف. وتلك المصادر السماعيَّة تعطي الموعظة جماليَّة الإطلاق والأصالة والتعاظم في الشيء المعبَّر عنه، فضلاً عن أن تلك المصادر توحي بالثبات، كونها أحداث مجردة من الزمن.

"**وتعرّض لرقّة القلب بكثرة الذكر في الخلوات، واستجلب نور القلب بدوام الحزن**"[٣٨]: والمصادر هنا: رِقَّة من رَقَّ، وكَثْرة من كثُر، والذِكْر من ذكر، ونور من نار، ودوام من دام، والحزْن من حزِن. وهي سماعيَّة كلُّها.

ومن المصادر القياسيَّة:

"**ولا يقين كاستصغارك الدنيا، ولا معرفة كمعرفتك بنفسك، ولا نعمة كالعافية، ولا عافية كمساعدة التوفيق، ولا شرف كبعْد الهمَّة، ولا زهد كقصر الأمل، ولا حِرص كالمنافسة في الدرجات، ولا عدْل كالإنصاف**"[٣٩]: فإذا استبعدنا المصادر السماعيَّة من هذا القول رأينا

٣٥ الغلاييني، مصطفى بن محمد سليم. جامع الدروس العربية، ط٢٨ (بيروت: جامع الدروس العربية، ١٩٩٣)، ٢٩٩.
٣٦ الحراني، تحف العقول عن آل الرسول، ٢٩٩.
٣٧ الحراني، ٢٨٥.
٣٨ الحراني، ٢٨٥.
٣٩ الحراني، ٢٨٦.

المصادر القياسيَّة: استصغارك من استصغر ويفيد معنى التشديد على رؤية الدنيا صغيرة، ومساعدة من ساعد، وهو مصدر لفعل رباعيّ يشابهه: منافسة من نافس، وكلاهما يفيد الاشتراك في الفعل، أمَّا الإنصاف فهو من الفعل أنصف المزيد بالهمزة، ويدلُّ على الثبات والصيرورة، إذ لا عدْل إلَّا لمن صار مُنصِفاً.

المبحث الثاني: المستوى التركيبيّ:

يؤدِّي المستوى التركيبيّ دوراً بارزاً في إنتاج مُضمرات النَّصِّ ومظاهره، وتكشف البنية التركيبيَّة للنَّصِّ عن دلالات عميقة فيه، وعن جماليَّاته الشكليَّة الَّتي تُظهر كينونته، فتختبر هذا النَّصَّ في جمله الفعليَّة والإسميَّة، ويهتمُّ هذا المستوى بدراسة التراكيب، وطريقة بنائها، وترتيب الجمل وعلاقتها ببعضها. وسنبدأ بدراسة الجمل الخبريَّة والجمل الإنشائيَّة لنستوضح ما في داخلها من معاني، ونستكشف جماليَّات ورودها في أقوال الإمام مُحَمَّد الباقر عليه السلام.

الجمل الخبريَّة:

الجملة الخبريَّة هي الجملة التي تحتمل الصدق أو الكذب، وقد تكون إسميَّة أو فعليَّة؛ أمَّا الإسميَّة فتتكون من مبتدأ وخبر، أو مسندٍ إليه ومسند. وتتأكَّد الجملة الإسميَّة بحسب حالة المخاطَب، ومؤكِّداتها: إنَّ، وأنَّ، واللام بأنواعها، والقسم. فقد لا يملك المخاطَب أي معلومة عن الخبر عندها لا يحتاج إلى مؤكِّداتٍ ليتأكَّد من الخبر، فتأتي جملته خالية من المؤكِّدات، ويسمَّى هذا الخبر ابتدائيًّا. وقد يشكُّ المخاطَب في المعلومة الَّتي وصلت إليه فتحتاج الجملة عندها إلى مؤكِّدٍ واحد لإزالة الالتباس الَّذي حصل عند المخاطَب، ويسمَّى هذا النوع الخبر الطلبيّ، وذلك لأنَّ المخاطَب يطلب مؤكِّداً كما أسلفنا لإنهاء شكِّه. وقد يملك المخاطَب معلومةً مناقضة للمعلومة الَّتي يسمعها، أو الخبر الَّذي وصل إليه فينكر هذا الخبر، ولإقناعه بالأمر يؤتى بمؤكِّدين للجملة، ويسمَّى هذا الخبرُ الخبرَ الإنكاريّ. ولنحاول استجلاء بعض الجمل الإسميَّة ودلالاتها في أقوال الإمام الباقر عليه السلام:

**"ولا خوفَ كالحزن، ولا مصيبةَ كعدم العقل، ولا عدم عقلٍ كقلَّة اليقين، ولا قلَّةَ يقين كفقد الخوف، ولا فقدَ خوفٍ كقلَّة الحزن على فقد الخوف، ولا مصيبة كاستهانتك بالذنب**

**ورضاك بالحالة الَّتي أنتَ عليها، ولا فضيلة كالجهاد، ولا جهادَ كمجاهدة الهوى، ولا قوَّة كردِّ الغضب، ولا معصية كحبِّ البقاء، ولا ذلَّ كذلِّ الطمع**"[٤٠]. إنَّنا نلقى في هذه الجمل الإسميَّة المنفية تكراراً للأسماء مع إلحاقها بما يليها، وهي عبقريَّة بنائيَّة تتطلَّب من بانيها الاستعداد والتمكّن من الشيء المعبّر عنه. و"لا" النافية للجنس لا تكتفي بالنفي فقط وإنَّما تؤكِّد الجملة أيضاً، فهي تشبه "إنَّ" في التوكيد، وتعمل عملها في نصب المبتدأ ورفع الخبر، وإنَّما تدلُّ هذه الجمل الإسميَّة خير دلالة على الثبات، فحين يقول: "**لا ذلَّ كذلِّ الطمع**" فهذا يعني ثبات عدميَّة الذلِّ الذي يُقارن بالذلِّ الناشئ عن الطمع.

"**هؤلاء لا يُقبل منهم إلَّا القتلُ أو الدخول في الإسلام، وأموالهم فَيْءٌ، وذراريهم سَبْيٌ على ما سنّ رسول الله** صلى الله عليه وآله، **فإنَّه سبا وعفا وقَبِل الفداء**"[٤١]. جاء المبتدأ في الجملة الأولى اسمًا مبنيًّا (اسم إشارة)، بينما جاء الخبر جملة فعليَّة منفيَّة (لا يُقبَل منهم إلَّا القتل)، ودلّت على ثبات عدم القبول من هؤلاء، ويقصد بهم مُشركي العرب، سوى القتل أو الدخول في الإسلام. وعطَف جملة إسميَّة خبرها ابتدائيّ؛ إذ خلت من المؤكِّدات، وهي (ذراريهم سَبْي)، على الجملة الإسميَّة الَّتي تعادلها (أموالهم فَيْء)، وكلاهما أيضاً يشير إلى ثبات ما يعبّر عنه.

"**إنَّ كلامي لو وقع طرفٌ منه في قلب أحدكم لصار ميِّتاً**"[٤٢]. إنَّ الجملة الخبريَّة الإسميَّة هنا مؤكَّدة بمؤكِّدين؛ الحرف المشبه بالفعل (إنَّ)، واللام المزحلقة الواقعة في خبر إنَّ، وكأنَّ المخاطَب هنا في شكٍّ والتباسٍ وإنكارٍ لما قد يقوله الإمام الباقر عليه السلام، وهو ما استدعى منه عليه السلام أن يدفع إلى الجملة مؤكِّدَين ليزيل الشَّكَّ ويقطع الإنكار.

"**والله المتكبِّر ينازع الله رداءه**". جملة إسميَّة مؤكَّدة بالقسم لدفع الشكّ بأمر المتكبِّر من أنَّه ينازع الله رداءه، وخبرها جملة فعليَّة (ينازع).

٤٠ الحراني، ٢٨٦.
٤١ الحراني، ٢٨٨.
٤٢ الحراني، ٢٩١.

**"كم من رجلٍ قد لقي رجلاً فقال له: كَبَّ الله عدوَّك، وما له من عدوٍّ إلَّا الله"**[٤٣]. الجملة الثانية (ما له من عدوٍّ إلَّا اللهُ) فيها نفيٌ بما، وتقديمٌ للخبر (له) على المبتدأ (عدوّ)، و**"هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرّف، بعيد الغاية"**[٤٤]، وجُرّ المبتدأ لفظاً بحرف جرٍّ زائدٍ، فقد زيدت (مِن) بعد النفي. وفي التقديم والتأخير توكيد، يهتمّ فيه القائل بالمُتقدِّم، وقد قُرِن هنا في الجملة بالاستثناء الناقص المنفيّ، وهو أسلوب قصرٍ يؤكِّد أيضاً أنَّ العدوَّ الذي اتَّخذه هذا الشخص محصور في الله ﷻ، وأنْ لا أحد يكون عدوًّا غيره.

**"ما شيعتنا إلَّا من اتَّقى الله وأطاعه"**[٤٥]. جملة يخرج فيها الإمام الباقر﵇ أيضاً عن الجملة العاديَّة أيضاً، ويحصر شيعة أهل البيت بالَّذي اتَّقى الله وأطاعه، وهي جملةٌ إسميَّةٌ منفيَّة بما.

وتوحي الجمل الفعليَّة بالحركة والتجدُّد بعكس الجملة الإسميَّة الَّتي تنحو نحو الثبات، فهي تمنح النَّصَّ حيويَّة، وتشيع فيه جوّ التحرُّك. ومن مؤكِّدات الجملة الفعليَّة:

مؤكِّدات الفعل الماضي: القسم، وقد، واجتمعا في لقد.

مؤكِّدات الفعل الأمر: نونا التوكيد (الثقيلة نَّ) أو (الخفيفة نْ).

مؤكِّدات المضارع المنفي: القسم.

مؤكِّدات المضارع المثبت: نونا التوكيد الثقيلة أو الخفيفة.

وكثرت الجمل الفعلية في أقوال الإمام الباقر﵇، وقد مرَّ ذكر بعضها سابقاً في البحث، وسنورد ذكر بعضها الآخر مثل:

**"مّن استفاد أخاً في الله على إيمانٍ بالله ووفاء بإخائه، طَلَباً لمرضاة الله فقد استفاد شعاعاً من نور الله"**[٤٦]. جاء الفعل استفاد في هذا القول مكرَّراً في فعل الشرط وجوابه، ولكنَّه جاء في الفعل ماضياً غيرَ مؤكَّدٍ، أمَّا في الجواب فقد جاء مؤكَّداً بمؤكِّد واحد (قد)، كما اقترن الجواب بالفاء وجوباً؛ لأنَّ الجواب جملة فعليَّة فعلها مسبوق بقد.

---

٤٣ الحراني، ٢٩٤.

٤٤ الجرجاني، عبدالقاهر. دلائل الإعجاز،تعليق. محمد شاكر محمود، ط١ (القاهرة: مكتبة الخالصي، ١٩٩٤)، ١٠٦.

٤٥ الحراني، تحف العقول عن آل الرسول، ٢٩٥.

٤٦ الحراني، ٢٩٥.

"**واستوجب بجميل صنيعه الشكرَ**"[٤٧]. يُتبع الإمام الباقر عليه السلام الفعل الماضي (استوجب) بالمُتقدِّم: الجار والمجرور (بجميل) لأهمِّيَّة الترتيب الَّذي يأتي فيه الصنيع الجميل أوَّلًا ثُمَّ الشكر الواجب، وكأنَّ الإمام الباقر عليه السلام قدّم جميل الصنيع لينبّه المخاطب إلى أهمِّيَّته مُقدَّماً على الشكر، وسيبويه "في الحقيقة لم يقتصر في بيان سرّ المُتقدِّم على العناية والاهتمام، بل جعله يأتي أحياناً لتنبيه المُخاطَب وتأكيد الكلام"[٤٨].

"**إنَّ المؤمن مَعنيٌّ بمجاهدة نفسه ليغلبها على هواها، فمرّةً يقيم أَوَدَها (يصحِّح عِوَجها)، ويخالف هواها في محبَّة الله، ومرَّةً تصرعه نفسه فيتّبع هواها فيَنعَشُهُ الله (يرفعه ويقيمه) فينتعش، ويقيل الله عثرته فيتذكَّر، ويفزَع إلى التوبة والمخافة فيزداد بصيرة ومعرفة لما زيد فيه من الخوف**" [٤٩]. نلحظ في هذا القول تدفُّق الأفعال المضارعة: يغلبها، ويقيم، ويخالف، ويتبع، وينعشه، وينتعش، ويقيل، ويتذكر، ويفزع، ويزداد، وهذه الأفعال نسبياً تجعل النَّصَّ مفلتاً من قبضة الثبات، وينساب في حركته من بداية النَّصِّ، فلا يتوقَّف حتَّى ينتهي معناه.

الجمل الإنشائيَّة:

الجملة الإنشائيَّة كلام لا يحتمل الصدق أو الكذب، ويُنشئه قائله فيخرج به عن المعنى الأساسيّ إلى معاني أخرى. ويُقسم إلى: إنشاء طلبيّ؛ يتضمَّن الأمر والنهي والاستفهام والنداء والتمنِّي. والإنشاء غير الطلبيّ؛ ويتضمَّن التعجُّب والمدح والذم والقسم والترجِّي... إلخ. ونرصد من هذه الأساليب في أقوال الإمام الباقر عليه السلام:

الأمر: هو طلب أمرٍ على وجه الاستعلاء، ويكون فيه الآمر أعلى سلطة من المأمور، فإذا كان غير ذلك فإنَّه يخرج عن معناه الظاهر إلى معانٍ أخرى. ومن أمثلته في أقوال الإمام الباقر عليه السلام:

"**وَقِفْ عند غلبة الهوى باسترشاد العلم، واستبقِ خالص الأعمال ليوم الجزاء، وانزل ساحة القناعة باتِّقاء الحرص، وادفع عظيم الحرص بإيثار القناعة، واستجلب حلاوة الزَّهادة**

٤٧ الحراني، ٢٩١.
٤٨ محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، ط١ (مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٤)، ٣٣١.
٤٩ الحراني، تحف العقول عن آل الرسول، ٢٨٤.

**بقصر الأمل، واقطع أسباب الطمع ببرد اليأس، وسدَّ سبيل العجب بمعرفة النفس"**[٥٠]. إنَّ كلَّ أفعال الأمر التي وردت: قِفْ، واستبقِ، وانزل، وادفع، واستجلب، واقطع، وسدَّ، إنَّما تدلُّ دلالة واضحة على سمة النصح الأبويّ المحبَّب، ليخرج عليه السلام الأمر إلى الوعظ والإرشاد بطريقة انسيابيَّة رقيقة.

النهي: هو عكس الأمر، وهو طلب الكفِّ على وجه الاستعلاء، والحرف الوحيد الذي يؤدِّي معنى النهي في العربيَّة هو (لا الناهية)، ولكنَّه كثر أيضاً في أقوال الإمام الباقر عليه السلام:

**"وأوصيك بخمس: إن ظُلمتَ فلا تظلم، وإن خانوك فلا تخن، وإن كُذِّبت فلا تغضب، وإن مُدحت فلا تفرح، وإن ذُممت فلا تجزع"**[٥١]. فالتناغم الَّذي جاء بين جمل النهي المتكرِّر منح النصّ تلك الفرادة المتدرِّجة في النغمة، والمترافقة مع دلالات دقيقة الهدف، جميلة التشكُّل.

الاستفهام: هو طلب معرفة شيء مجهول، ويحتاج إلى جواب، فإذا كان الجواب معروفاً لدى المخاطَب خرج الاستفهام عن معناه الحقيقيّ إلى معانٍ أخرى. ومن أمثلته:

**"ما لي أرى وجوهكم عامرة، وقلوبكم دامرة؟!"**[٥٢]. جاء الاستفهام هنا بالأداة **"ما"** الَّتي هي اسم يستعمل لغير العاقل، لكنَّه استفهام في الظاهر، أمَّا معناه الحقيقيّ فنلحظ فيه الاستنكار والتعجُّب، استنكار من الفعل الذي يشهده الإمام الباقر عليه السلام من هذه الفئة اللاهية، وتعجّب ممَّا آلت إليه حال وجوههم وقلوبهم.

**"إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: أين الصابرون؟ فيقوم فئام (جماعة من الناس) من الناس. ثُمَّ ينادي منادٍ: أين المتصبّرون؟ فيقوم فئام من الناس. قلتُ: جُعلتُ فداك، ما الصابرون؟ وما المتصبِّرون؟ فقال عليه السلام: الصابرون على أداء الفرائض، والمتصبِّرون على ترك المحارم"** [٥٣]. السؤالين المطروحين من الإمام الباقر عليه السلام (أين الصابرون؟) و (أين المتصبّرون؟) استفزا عقل المخاطَب، وأضافا إلى فضوله في الاستماع إلى الحسن شغفاً معرفيًّا جعلاه يسأل عن الصابرين والمتصبِّرين.

---

٥٠ الحراني، ٢٨٥.
٥١ الحراني، ٢٨٤.
٥٢ الحراني، ٢٩٢.
٥٣ الحراني، ٢٩٦.

النداء: هو استدعاء أو تنبيه يقع بأحد حروف النداء. فإذا خرج عن الاستدعاء والتنبيه خرج عن معناه الظاهر إلى معانٍ بلاغيَّة. فقد نادى الإمام الباقر﵇ جابراً الجعفيّ أكثر من مرَّة، ومنها:

**"يا جابر اغتنم من أهل زمانك خمساً"**[٥٤].

**"يا جابر استكثر لنفسك من الله قليل الرزق تخلّصاً إلى الشكر"**[٥٥].

**"أصبحتُ والله يا جابر محزوناً مشغول القلب"** [٥٦].

**"واعلم يا جابر أنَّ أهل التقوى هم الأغنياء"**[٥٧].

وفي كلِّ هذه العبارات نلقى نداءً حقيقيًّا لجابر أراد من خلاله﵇ تنبيه جابر إلى ما يقول، وليجعل محور تفكير جابر هو هذا الَّذي يقوله، مع ملاحظة أنَّ العبارة الثالثة تتضمَّن معنى إظهار الضعف أيضاً، فقد كان ﵇ يكشف لجابر مدى الحزن الَّذي أصابه.

وقد حذف الإمام الباقر ﵇ حرف النداء (يا) في قوله: **"ألا يا أشباحاً بلا أرواح، وذباباً بلا مصباح، كأنّكم خُشُبٌ مسنّدة، وأصنام مَريدة"**[٥٨]. وحذْف حرف النداء اقتراب أكثر من المنادى، والتودُّد إليه.

التمنِّي: هو طلب شيء غير قابل للحصول، والأداتان الأكثر دلالة عليه هما: الحرف المشبَّه بالفعل (ليت)، والأداة (لو). وقد وظّف الإمام الباقر﵇ القرآن الكريم في تأدية أسلوب التمنِّي بعد أن رأى ما رآه من لهو الجماعة التي كان يعظها فيقول﵇: **"أما والله لو عاينتم ما أنتم ملاقوه، وما أنتم عليه سائرون لقلتم: ﴿يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُوْنَ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ﴾"**[٥٩]. لقد تمنَّى الكافرون المنافقون في الآية الكريمة أن يُرَدُّوا إلى الحياة ليؤمنوا بما أنزل الله، ولكن هيهات لهم العودة على أنَّ الله سبحانه قادر على ذلك، لكنّ الخطاب هنا موجّه إلى الجماعة الَّتي حضرت موعظة الإمام الباقر﵇، هذا يعني أنَّها كانت

٥٤ الحراني، ٢٨٤.
٥٥ الحراني، ٢٨٥.
٥٦ الحراني، ٢٨٦.
٥٧ الحراني، ٢٨٧.
٥٨ الحراني، ٢٩١.
٥٩ الحراني، ٢٩٢.

هنا بمنزلة التهديد والوعيد بأنَّهم سيلقون المصير ذاته إذا هم تابعوا على النهج ذاته في اللَّهو والسهو.

هذا ما كان من الإنشاء الطلبيّ، أمَّا من ناحية الإنشاء غير الطلبيّ فمن الأساليب الَّتي يمكن رصدها في أقوال الإمام الباقر﵇ وخطبه:

التعجّب: هو استعظام أمرٍ ظاهر المزيّة بإحدى صيغ التعجُّب. وللتعجُّب نوعان:

١. تعجّب سماعيٌّ: ويكون:

بالنداء: فقد يُراد بالنداء التعجُّب ولا يُراد به التنبيه والاستدعاء، ومنه أن يُجرّ المنادى بلامٍ مفتوحة كقول الإمام الباقر﵇: "**فيا له من يومٍ عظيمٍ! يا ذوي الهيئة المعجَبة، والهِيم المعطنة**"[٦٠]. ففي الجملة (يا لَه من يومٍ عظيمٍ!) هناك استعظام ليومٍ هو اليوم الأعظم وهو يوم القيامة، ويحمل في تركيبه ضمن السياق صبغة التحذير، وطَلَب تحكيم العقل فيما هو القادم الأعظم.

بالاستفهام: أوردنا سابقاً مثالاً عن الاستفهام، وكيف يحمل غرض النداء ويخرج عن مقتضاه الظاهر في قول الإمام الباقر﵇: "**ما لي أرى وجوهكم عامرة، وقلوبكم دامرة؟!**".

بصيغٍ تعجبيَّةٍ سماعيَّةٍ: مثل: لله دَرُّك! ولله أنت! وسبحانَ الله! وصيغٍ أخرى. وقد وردت في قول الإمام الباقر﵇ في قوله: "**يا طالبَ الجنَّة ما أطول نومك! وأَكَلَّ مطيَّتك! وأوهى همَّتك! فللهِ أنت من طالبٍ ومطلوب**"[٦١]. فقوله: "فللهِ أنتَ!" استعظام لكونه طالباً ومطلوباً في الوقت ذاته.

٢. تعجُّب قياسيّ: وله صيغتان يُقاس عليهما هما: (ما أفعَلَه!) و(أفْعِلْ به!) من كلِّ فعلٍ ثلاثيّ، وتامٍّ، وليس الوصف منه على أفعل، ومثبتٍ، ومبنيّ للمعلوم، ومتصرِّفٍ، وقابلٍ للتفاوت. وقد ورد التعجُّب القياسيّ متكرِّراً في أقوال الإمام الباقر﵇، ومن ذلك: "**يا طالب الجنة ما أطول نومك! وأكلّ مطيتك! وأوهى همتك! فللهِ أنت من طالبٍ ومطلوب! ويا هارباً من النار ما أحثّ مطيّتك إليها! وما أكسبَك لما يوقعك فيها!**"[٦٢]. فهناك استعظام لما

٦٠ الحراني، ٢٩٢.
٦١ الحراني، ٢٩١.
٦٢ الحراني، ٢٩١_ ٢٩٢.

يبتغيه هذا العبد الذي يطلب الجنَّة ولكنّ أفعاله تخالف السبيل إليها، وكذلك استعظام لما يطلبه الهارب من النار ولكنّ أفعاله تؤدِّي به إليها.

القَسم: من مؤكِّدات الجمل، ويتألَّف تركيبه من المُقسَم به، وحرف القسم، وجواب القسم. وقد جاء في أقوال الإمام الباقر ﷺ غير مرَّةٍ، وسبق أن أورد البحث في قسم الجمل الفعليَّة والإسميَّة شيئاً عن القسم، ومن أمثلته نرصد أيضاً: "**أصبحتُ والله يا جابر محزوناً مشغول القلب**"[٦٣]. وكيف لا يُقْسم وهو يحمل في قلبه هموم الناس، لقد جاء القسم معترضاً بين الفعل الناقص وخبره، فإذا هو يحمل التوكيد المشوب بحالة التعب الَّتي تشغله. وكذلك قوله: "**أما والله لو عاينتم ما أنتم ملاقوه وما أنتم إليه صائرون لقلتم: ﴿يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُوْنَ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ﴾**"[٦٤]. والقسم هنا مشحون بالإنذار والتحذير، ومؤكِّدٌ لما سيحصل في الجواب.

ومن الجمل التي يمكن أن نرصدها أيضاً ـ وقد كثرت ـ جمل الشرط، فقد تكرَّر الشرط في وصيَّة الإمام الباقر ﷺ لجابر الجعفيّ سبع عشرة مرَّة إذا احتسبنا الآية القرآنية التي استشهد بها، ومن ذلك قوله: "**يا جابر، اغتنم من أهل زمانك خمساً: إنْ حضرتَ لم تُعرفْ، وإن غبتَ لم تُفتقد، وإن شهدْتَ لم تُشاوَر، وإن قلتَ لم يُقبل قولك، وإن خطبتَ لم تُزَوَّج**"[٦٥]. وحرف الشرط (إنْ) يفيد الشكَّ غير المقطوع بوقوعه في حدوث فعل الشرط، فأفعال الشرط لم تحدث وإنَّما يشكّ بوقوعها.

وتُعَدّ (أمّا) حرف شرط وتفصيل وتوكيد، ويجب أن يقترن جوابها بالفاء، ومثالها قول الإمام الباقر ﷺ: "**وأمّا السيف المكفوف فسيفٌ على أهل البغي والتأويل...**"[٦٦]. واستعمل الإمام الباقر ﷺ حرف الشرط (أما) في معرِض تقسيمه للسيوف، ففصّل فيها، وأكَّد ما للسيف المكفوف من إضافة له.

٦٣ الحراني، ٢٨٧.
٦٤ الحراني، ٢٩٢.
٦٥ الحراني، ٢٩١.
٦٦ الحراني، ٢٨٩.

وجاءت أداة الشرط (لمّا) الظرفيَّة الحينيَّة في قوله عليه السلام: "**فلمّا نزلت هذه الآية قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: إنّ منكم من يقاتل بعدي على التأويل كما قاتلتُ على التنزيل**"[٦٧]. فاسم الشرط (لما) يقرن بين فعل الشرط وجوابه زمنياً، ففي الحين الَّذي يتحقَّق فيه الفعل يتحقَّق الجواب، وفي الوقت الذي نزلت فيه الآية الكريمة في المقبوس قال الرسول الأعظم مقولته. وفي قولٍ آخر يقول عليه السلام: "**فلرُبَّ حريصٍ على أمر من أمور الدنيا قد ناله، فلمَّا ناله كان عليه وبالاً وشقِي به**"[٦٨]. فما كان الوبال والشقاء مُصاب الحريص إلَّا في الوقت الذي ناله أمر الدنيا.

وتُستعمل أداة الشرط (مَن) للعاقل، وهي اسم شرط جازم، وورد استعمالها في قول الإمام الباقر عليه السلام: "**فهذه السيوف التي بعث الله بها مُحَمَّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم، فمن جحدها أو جحد واحداً منها أو شيئاً من سِيَرها وأحكامها فقد كفر بما أنزل الله تبارك وتعالى على مُحَمَّد نبيه صلّى الله عليه وآله وسلّم**"[٦٩]. فهنا خطاب للعاقل الذي يفكِّر في نكران ما أنزل الله تبارك وتعالى من هذه السيوف، ونكرانها من العاقل كفر وجحود.

ويرد أسلوب التحذير في أقوال الإمام الباقر عليه السلام أيضاً، وهو مناسب لسياق الإنذار والنصح، فيقول عليه السلام: "إيَّاكَ والكسل والضجر، فإنَّهما مفتاح كلِّ شرٍّ، مَن كسِل لم يؤدِّ حقاً، ومَن ضجِر لم يصبر على حقٍّ"[٧٠]. فقد حذّر الإمام الباقر عليه السلام من الكسل والضجر مستعملًا ضمير نصبٍ منفصل مع الفعل المحذوف وجوباً وتقديره أحذّر. ووردت أيضاً في الأقوال:

"**وإيَّاك والثقة بغير المأمون فإنَّ للشر ضراوةٌ كضراوة الغذاء**"[٧١].

"**وإيَّاك والتفريطَ عند إمكان الفرصة، فإنَّه ميدان يجري لأهله بالخسران**"[٧٢].

"**وإيَّاك والرجاء الكاذب، فإنَّه يوقعك في الخوف الصادق... وإيَّاك والتسويف، فإنَّه بحرٌ يَغرق فيه الهلكى، وإيَّاك والغفلةَ، ففيها تكون قساوة القلب، وإيَّاك والتواني فيما لا عذر لك فيه، فإليه يلجأ النادمون**"[٧٣].

٦٧ الحراني، ٢٩٠.
٦٨ الحراني، ٢٨٧.
٦٩ الحراني، ٢٩٠.
٧٠ الحراني، ٢٩٥.
٧١ الحراني، ٢٨٦.
٧٢ الحراني، ٢٨٦.
٧٣ الحراني، ٢٨٥.

كلّ هذه التحذيرات تصبّ في دواعي النصح والإرشاد والإنذار، لكنَّه التحذير القريب المحبَّب غير الجارح. إنَّ كلَّ الأساليب الَّتي استعملها الإمام الباقر ﷺ تُنشئ في تركيبها علامات تترابط فيما بينها لتنتج نصاً اغتنت قدرته التعبيريَّة بلسان قائله.

المبحث الرابع: المستوى الدلاليّ:

يهتمُّ هذا الجانب بالدلالات الَّتي توحي بها الأساليب، ومدى مناسبة الأساليب للمعنى المختار، وكان الإمام الباقر ﷺ مختاراً لسموّ معانيه ألفاظاً وتراكيب تشفّ عن ذلك السموّ بإبداعٍ قلَّ نظيره، ومن ذلك:

"**كفى بالمرء غَشًّا لنفسه أن يبصر من الناس ما يَعمى عليه من أمر نفسه، أو يعيب غيره بما لا يستطيع تركه، أو يؤذي جليسه بما لا يعنيه**"[٧٤]. فالإنسان يغش نفسه بأساليب كثيرة، لكنّ الأفعال التي ذكرها الإمام الباقر ﷺ في قوله محصورة بالفعل "كفى" الَّذي يعني: يكفيه وحسبه، وهذه الأمور وحدها، دون الأمور الأخرى، كافية لتجعل من المرء غاشًّا نفسه.

"**يا جابر، استكثر لنفسك من الله قليل الرزق تخلُّصًا إلى الشكر، واستقلل من نفسك كثير الطاعة لله إزراءً على النفس وتعرّضاً للعفو**"[٧٥]. تجتمع في الجملة الواحدة كلمتان متناقضتان (استكثر وقليل) و(استقلل وكثير)، وهذا التناقض يجعل المتلقّي يشتغل بفكره على استيضاح الدلالات والرؤيا الَّتي يحملها الكيان الأسلوبيّ للنَّصِّ، وتماسك التركيب. وكذلك قوله ﷺ: "**ثلاثةٌ منها شاهرة لا تُغمَد حتَّى تضع الحرب أوزارها، ولن تضع الحرب أوزارها حتَّى تطلع الشمس من مَغربها**"[٧٦]. نجد هنا طباق الإيجاب (تطلع ومغربها) ويؤدّي هنا معنى الاستحالة، فإذا حدث هذا المستحيل ارتاح الناس من هموم هذه الحياة. ونجد طباق السلب (تضع ولن تضع) وجمع هنا ﷺ بين النقيض ونقيضه في ازدواجيَّة لونت المعنى بتناغم الصوت وجماليَّة التكرار المنفي. وفي لوحة جميلة أخرى من النسيج اللُّغوي يقول ﷺ: "**انظروا إلى هذه القبور، سطوراً بأفناء الدور، تدانوا في خِططهم، وقرُبوا في مزارهم، وبعُدوا**

٧٤ الحراني، ٢٩٦.
٧٥ الحراني، ٢٨٥.
٧٦ الحراني، ٢٨٨.

**في لقائهم، عَمَروا فخُرِبوا، وآنسوا فأُوحشوا، وسكنوا فأُزعجوا، وقَطنوا فرحلوا"**[٧٧]. ففي هذا القول توازنٌ بين المتناقضات معنويٌّ، يوازيه توازنٌ لفظيٌّ، ويصحبه توازن روحي.

وتؤدِّي الألفاظ دلالات عميقة تُنسج في نطاق الأساليب لتلتصق بهذا المعنى دون سواها من الألفاظ التي تقابلها في الحقل المعجميّ، وترد في كلام الإمام الباقر ﷺ لتنفرد عن سواها من الألفاظ مثل: **"اصبر نفسك على الحقِّ، فإنَّه من منع شيئاً في حقٍّ أعطى في باطلٍ مثليه"**[٧٨]. فلفظة "مثليه" تعني الضعف، ولكنَّه أوردها دون لفظة الضعف، والضِّعف "ضِعْف الشيء: مثلاه، وقال الزجاج: ضِعف الشيء مِثْله الذي يضعِّفه، وأضعافه أمثاله، وقوله تعالى: إذاً لأذقناك ضِعْف الحياةِ وضِعْف الممات؛ أي ضِعْف العذاب حيًّا وميْتاً، يقول: أضعفنا ذلك العذاب في الدنيا والآخرة"[٧٩] . والواضح أنَّ كلمة (ضعف) شديدة جزلة بحرف الضاد، لكن المقام الذي يورد الإمام الباقر ﷺ فيه هذه الكلمة تدلُّ على سياق مُحَبَّب، يدنيه الإرشاد، برقَّة الكلام، من أذن السامع. بينما وردت كلمة ضِعْف في سياق آخر من كلامه ﷺ في قوله: **"ويحك يا مغرور ألا تَحمَدُ من تعطيه فانياً ويعطيك باقياً، دِرهمٌ يفنى بعشرة تبقى إلى سبعمائة ضِعف مضاعفة من جواد كريم"**[٨٠]. يتغيَّر السياق فيتغير الإيقاع الذي يحيا بالكلمات الموحية بما يتناغم والدلالة المرادة، "ولا يُنكَر أنَّ دلالة السياق تجعل الكلمة ذاتَ الهيأة التركيبيَّة الواحدة بمفرداتها نفسها إذا قيلت بنصِّها في مواقف مختلفة، تختلف باختلاف السياق الذي ترد فيه مهما كانت بساطة هذه الجملة وسذاجتها"[٨١]. لذلك لزم أن تكون كلمة (ضِعف) في سياق مخاطبة المغرور، وفي سياق الشدَّة والحزم. وكذلك تخيّر الإمام الباقر ﷺ ألفاظه المترادفة بعناية المجتهد فيقول: **"البِشْر الحسن وطِلاقة الوجه مَكْسبة للمحبة، وقرْبة من الله، وعبوس الوجه وسوء البِشر مَكْسبة للمَقْت وبعد من الله"**[٨٢] . فالبِشْر: طلاقة الوجه وبشاشته، وأوردهما ﷺ في سياقٍ واحدٍ تأكيداً لدورهما في كسب المحبَّة والقرب من الله سبحانه.

---

٧٧ الحراني، ٢٩٢.
٧٨ الحراني، ٢٩٦.
٧٩ ابن منظور، لسان العرب، مادة(ض،ع،ف).
٨٠ الحراني، تحف العقول عن آل الرسول، ٢٩١.
٨١ عبداللطيف، محمد حماسة. النحو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، ط١ (دار الشروق، ٢٠٠٠)، ٥٧_٥٨.
٨٢ عبداللطيف، ٢٩٦.

**الخاتمة:**

يتساوق النظام البنائيّ للأساليب في أقوال الإمام الباقر ﷺ والدلالات التي تكتنزها الظواهر الأسلوبيَّة داخل النص، فينتج النص أسلوبه الخاص، ويحمل مضامين تتسلسل بتسلسل عذوبة اللفظ وفصاحته وبلاغة التعبير، وتتفتق التراكيب عن حيّزٍ دلاليٍّ تعيش فيه الكلمات أسلوبها. ونوجز ما توصّل إليه البحث بالآتي:

١. كان للإيقاع في أقوال الإمام الباقر ﷺ صدىً توهّج في النفس بانسجام ترك أثره بين الأصوات المهموسة والمجهورة، كما تآلفت الكلمات باعثةً لحناً موسيقياً وجَرْساً حسِّيًّا كان له وقعٌ رقيقٌ في موضع الرِّقّة، ووقع التحذير في موضع الإنذار.

٢. أدَّت المشتقَّات والمصادر بدورها جزءاً كبيراً من لذَّة الإيقاع، فتشبّعت أقواله ﷺ بتناسق الوزن الصرفيّ مع الدلالات المعنويَّة التي أراد لها أن تصل إلى السمْع فتهز أوتار القلوب.

٣. انتظمت التراكيب في أقوال الإمام الباقر ﷺ بصورة تلبّي واقع النص، ليصل بأفضل صورةٍ إلى المتلقِّي، فكان الترابط سمة الجمل الخبريَّة في تعبيرها عن التفصيل والإخبار والنقد والشرح، والجمل الإنشائيَّة في تجلية الحالة الشعوريَّة، والتنسيق المنسجم مع الوعظ المحبَّب.

٤. أظهرت الطاقات التعبيريَّة في أقوال الإمام الباقر ﷺ قدرة على استجلاء المعاني، واستظهار الدلالات الكامنة في الداخل النصِّيِّ الذي أنتج فيه النصّ حقّاً ما أبدع فيه قائله.

**المصادر:**

القرآن الكريم

ابن الحاجب. الإيضاح في شرح المفصل. تحقيق إبراهيم عبدالله. ج٢. دمشق: دار سعد الدين، د.ت.

ابن منظور. لسان العرب. ط١. بيروت: دار صادر، ١٩٩٧.

الجرجاني، عبدالقاهر. دلائل الإعجاز. تعليق مُحَمَّد شاكر محمود. ط١. القاهرة: مكتبة الخالصي، ١٩٩٤.

الحراني، أبو مُحَمَّد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة. تحف العقول عن آل الرسول. ط٢. ايران: مؤسسة النشر الإسلامي، د.ت.

الغلاييني، مصطفى بن مُحَمَّد سليم. جامع الدروس العربية. ط٢٨. بيروت: جامع الدروس العربية، ١٩٩٣.

باقر، بدر مُحَمَّد. الروض الناضر في سيرة الإمام أبي جعفر الباقر ـ تفسيره وفقهه ومروياته. الكويت: مبرة الآل والأصحاب، ٢٠٠٧.

جرومي، وسام. ""اسم الفاعل في سورة البقرة 'دراسة نحوية صرفية دلالية'. مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة الماجستير." إشراف رابح العربي. أكلي محند أولحاج، ٢٠١٩.

خفاجي، مُحَمَّد عبد المنعم وآخرون. الأسلوبية والبيان العربي. ط١. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٢.

صادق، عزالدين عبدالكريم. "التوحيد عند الإمام مُحَمَّد الباقر ﷺ." مجلة العميد المجلد١١، العدد. ٤٢ (د.ت.).

عبد المطلب، مُحَمَّد. البلاغة والأسلوبية. ط١. مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٤.

عبداللطيف، مُحَمَّد حماسة. النحو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي. ط١. دار الشروق، ٢٠٠٠.

عياشي، منذر. الأسلوبية وتحليل الخطاب. ط١. حلب: مركز الإنماء الحضاري، ٢٠١٤.

كمال الدين، حازم. دراسة في علم الأصوات. ط١. القاهرة: مكتبة الآداب، ١٩٩٩.

مبارك، خالد جعفر وعبد الكريم جعفر والكشفي. "المستويات الجمالية في خطب وأقوال الإمام مُحَمَّد الباقر ﷺ." مجلة القادسية للعلوم الإنسانية مجلد١، العدد٢١. (٢٠١٨).